قراءة في كتاب «حقيقة الحج»

محسن الأسدي

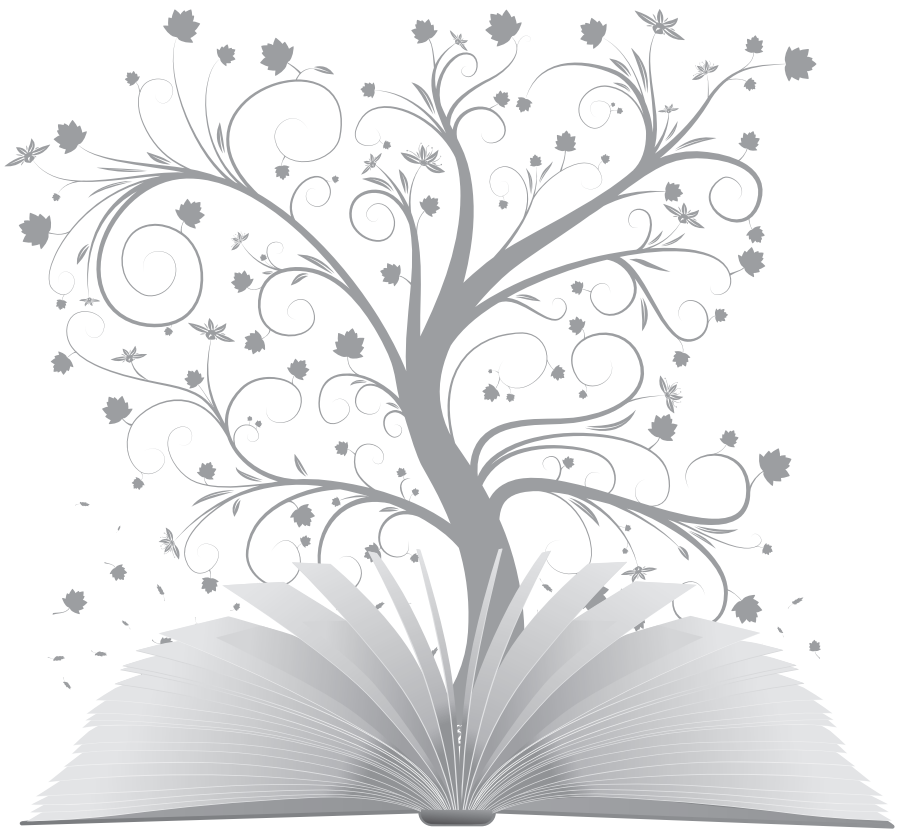

كثيرة هي الكتب والمقالات، التي ألفت وهي تتحدث عن فريضة الحج أحكاماً ومفاهيم وآداباً ومنافع ومناسك ومواقيت .. ومع كل ما كتب عنها قديماً وحديثاً ، فما زالت هذه الفريضة وما يتعلق بها تثري المكتبة الإسلامية وذهن الإنسان المسلم وقلمه بالمادة العلمية والمعرفية والتاريخية والثقافية ، وكأنها كتبت على نفسها ألا ينضب معينها ، وأن يبقى ثرّاً معطاءً لكل من يريد أن يتبرك بالكتابة عنها في جميع مفاصلها ، ولا أظنها إلا ثمرة عظيمة من ثمرات ذلك الدعاء الخالد:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1]

فزيادةً في رحمته تعالى لعباده، ولطفاً بهم، وامتناناً عليهم، شرع لهم العبادات والشعائر التي منها منسك الحج؛ لحكم عظيمة، ومصالح عديدة، وأهداف جليلة، بعيدةً عن التضييق عليهم، فلا حرج فيها ولاتعسير ولا تضييق، بل هي يسر لهم وتيسير وتسهيل، وفوائد لهم في الحياتين: الدنيا والآخرة.

ففريضة الحج واحدة من تلك العبادات والشعائر، جاءت تزكية للنفوس، وترويضاً لها على الفضائل، وتطهيراً لها من النقائص، وتصفيةً لها مما يُكدرها، ويخالطها من شوائب، وتحريراً لها من رق الشهوات، وإعداداً لها للكمال الإنساني، وتقريباً من الملإ الأعلى، لتحظى برضاه تعالى.

إذن لكل عبادة في الإسلام حكم بالغة، ومنافع كبيرة، ومصالح للعباد جليلة، يظهر بعضها بالنص عليها، وقد يجدها بعض بأدنى تدبر وتأمل، فيما يخفى بعضها الآخر إلا على المتأملين الموفقين في الاستجلاء والاستنباط، بعد أن يعملوا فكرهم وجهدهم، والمؤلف الكبير «وحيد الدين خان» واحد من أولئك الذين بذلوا وسعهم لاستجلاء ما يمكنه، ليُدوّنه فقرات ضمّها كتابه القيم هذا، وعبر ذكريات رحلته للحج، التي أفرد لها جانباً من كتابه، وليته توسّع فيها؛ فقد توفرت رحلته على آراء جميلة، وصور رائعة، واقتراحات حسنة، ونقود بنّاءة.

وهذه قراءتي: فالكتاب «حقيقة الحج» الذي رأيت أن نقرأ سويةً شيئاً منه، هو بقلم وحيد الدين خان ، المفكر الإسلامي المعروف من مواليد أزمغار من بلاد الهند لسنة ١٩٢٥م، له أنشطة علمية وثقافية نافعة.

فعلى مستوى الكتابة والتأليف، له مؤلفات كثيرة باللغة الانجليزية، والأوردية، والهندية، جاءت بأسلوب فكري وعلمي متحضر يجمع بين البساطة والعمق، ترجم له العديد منها، ومن كتبه: الإسلام يتحدى، الدين في مواجهة العلم، حكمة الدين، تجديد علوم الدين، المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل، دراسة لمأساة كربلاء، خواطر وعبر... وغيرها.

وله إنجازات عديدة،

منهـا إنشـاء مركز السـلام والروحانية بنيودلهي، وكذلك «المركـز الإسـلامي للبحوث والدعـوة» والـذي من خلاله يلقي دروسه ومحاضراته.

وعلـى مسـتوى اللقـاآت والحـوارات سـجل حضوراً متميـزاً، شـهدت بذلـك كله المكتبـات العلميـة، وقاعات المؤتمرات والندوات في العديد من بلدان العالم، بعد أن عرفته باحثاً مفكـراً فيما يطرحه من كتـب وبحـوث، ومحاضـراً نافعاً فيمـا يقدمه من دروس ومواضيع.

وكتاب: «حقيقة الحج» واحد مـن كتبـه، ترجمـه للعربية: ظفرالإسلام خان؛ دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هجريـة ، ١٩٨٧م ، صفحاته: ١٢٠، يتضمن: مقدمة للمترجم: ظفرالإسـلام خان، وثمانية فصول:

الفصـل الأول، فقراتـه: روح الحـج: مسـيرة نحو الله، سـيد العبادات، رسالة الحج، بعض الجوانـب، حج مبرور، قضية في حاجة إلى نظر.

الفصل الثانـي: الحج صانع التاريخ.

الفصل الثالث، فقراته: أهمية الحج في الدعوة، تاريخ الحج، الحج مؤسسـة دعوية، الحج عمل حـيّ، تنظيم جديد للحج، شرط ضروري.

الفصل الرابع، فقراته: الجانب العاطفي في الحج، شهادة علم الإنسان المعاصر، شعائر الله، علاقة بالله، الراحة في المعاناة، رحلة غير عادية، العطاء بقدر الكفايـة، بعـض الانطباعات، تجديد الإيمان.

الفصل الخامس، فقراته: الحج والوحدة، المركز العالمي للتوحيد، إعلان عام، أسلوب فطري، اجتماعية الحج، تاريخ الحج، مركز الوحدة.

الفصل السادس، فقراته: دروس التقوى والعفة، مزيد من الاهتمام، الحذر في الكلام، اجتناب العنف، حياة الانضباط، إنكار الذات.

الفصل السابع، فقراته: حج رسول الله ﷺ ، دروس، خطبة حجة الوداع.

الفصل الثامن، فقراته: مسائل الحج، زيارة المدينة المنورة، محظورات الحج، ترتيب مناسك الحج، مصطلحات الحج، آثار إسلامية ذات معان تاريخية.

ومما جاء في مقدمة المترجم: فهذا كتاب في «حقيقة الحج» كتبه كاتب هندي مسلم كبير عرفه العالم العربي من خلال بعض أعماله التي قوبلت باستحسان، وعلى رأسها كتابه المعروف «الإسلام يتحدى» أما المسلمون في شبه القارة الهندية فيعرفونه جميعاً، ومعظمهم يقرأون له مجلته الذائعة «الرسالة» سواء اتفقوا أم اختلفوا معه، واليوم يقدم المؤلف الكبير الأستاذ «وحيد الدين خان» كتابه «حقيقة الحج» للمشتغلين بالدعوة الإسلامية، والثقافة الإسلامية، وللباحثين عن فهم عميق للحقائق الإسلامية.

وألخص ما يستوحى من فصول الكتاب ومقدمته بالنقاط التالية:

فالكتاب يعدُّ وقفة عميقة متأنية عن الحج الركن الخامس

من أركان الإسلام، تبدأ من أول سطر من الفصل الأول، وأنّ التقوى هي روح الحج الأصلية، وهدفه هو وصول كل عبد من عباد الله إلى مقامات الحج مرةً واحدةً في حياته، إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ـ يستند المؤلف في قوله هذا إلى أن وجوبه مرة في العمر ـ فيقدم هناك دليلاً على عبوديته الكاملة لله بمختلف الأعمال والشعائر، وبالتالي يحاول أن يصبغ ظاهره وباطنه بالصبغة الإبراهيمية الحنيفية السمحة.

ورحلة الحج تلبية لنداء إبراهيم عليه السلام وأصوات «لبيك اللهم لبيك» التي نسمعها في الحج هي ردنا على ذلك النداء، فهي تعني أن الحاج قد لبى النداء الإبراهيمي فجاء يحج لله مؤكداً بعمله هذا أنه مستعد استعداداً كاملاً لتنفيذ كل أحكام الله.

وأنّ الحج عبادة جامعة، ففيه إنفاق المال، ومشقة الجسد، وذكر الله، والتضحية في سبيله، فالحج عبادة تشمله روح كل العبادات الأخرى بصورة أو أخرى.

ولم يكن الكتاب دراسة فقهية، أو تأريخاً موسوعياً للحج منذ إبراهيم عليه السلام وحتى اليوم، وإن عالج المعنى التأريخي للحج عبر مناسك الحج حين يقوم المسلمون بأدائها، فإنهم يعيدون بطريقة عملية حيّة التأريخ الإيماني الإبراهيمي على الأرض، فيفارقون أوطانهم كما فارق إبراهيم الخليل وطنه، ويمرون بكل ما مرَّ به إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام إلى أن ينتهوا

إلى التلبيــة «لبيك اللهم لبيك» في اجتماع عرفات الأعظم، ثم يرجمون الشــيطان كما رجم إســماعيل عليه السلام فكأنمــا الحاج يقول من خلال هذه الشــعائر «الأشــياء الرمزيــة»: إنــه لو اقتضت الضرورة مرة أخرى، فإنه مســتعد لكي يسير على نفس خطوات إبراهيم عليه السلام حتى ولو ذبح ابنه.

لكنه يعدّ دراسة لا تقل أهمية عن الدراسة الفقهية والتأريخية والاجتماعيــة، تناولــت جانباً يفتقده المســلمون، إنه: روح الحــج أوحقيقــة الحــج، وما الجوانب الأخرى إلا وســائل لكشــف هذه الروح، أو لعلها لا تزيد عن كونها عناصر من عناصر هــذه الروح؛ ومن هذا المنطلــق، ووصــولاً إلى هذه الغاية، عالج الباحث «رســالة الحــج» ونظــر إليه علــى أنه «صانــع التاريــخ» وعلى أنه «مؤسســة دعوية» و «وسيلة للوحدة» و «رحلة غير عادية» قادرة على «تجديد الإيمان!!».

ودعــا الباحث إلــى تحقيق الوحــدة الدعويــة والفكريــة والشــعورية للمســلمين أو حســب تعبيره: «تنظيم جديد للحج» ومن ســبله تســخير الحج كمركز للتخطيط العالمي للدعوة الإسلامية بحيث يعرض الناس من مختلف البلاد أحوال الدعوة فــي بلدانهــم، فيطلع الناس على تجــارب المناطق الأخــرى ويســتفيدون منها، ويدور الحوار حول الإمكانات الجديدة للدعوة، فقوة الإسلام مرتبطة بقــوة الدعوة؛ والحج والبيت الحــرام علامتان على خطة دعوية عظيمة، فإنما بنيت

الكعبة في الصحراء لتكون مركزاً دائماً للهداية الإلهية: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾

ويمكن استخدام إمكانيات الثورة العلمية ومؤتمر الحاج العالمي للتخطيط للدعوة على مستوى العالم، شرط أن يتم تحويل مؤسسة الحج ـ حسب تعبير المؤلف ـ إلى مؤسسة عالمية للدعوة الإسلامية.

التكبير في الحج يجعل الحاج يعي أنّ العظمة لله وحده، والطواف محور جهوده في دائرة الحنيفية السمحة كما تطوف كل سيارات النظام الشمسي حول مركز واحد هو الشمس.

والسعي بين الصفا والمروة يعلمنا أن لا نتجاوز دائرة إخواننا المؤمنين.

وكم هو رائع حين يسمي الحج بأنه «سيد العبادات» وحين يصف الكعبة بأنها علامة من علامات الله على وجه الأرض، تأتيها الأرواح البشرية الضالة لتسكن في رحاب ربها، تتفجر عندها عيون العبودية من الصدور المتحجرة، وهناك تشاهد العيون المظلمة تجليات الله، ولكن هذا كله يحدث للذي يذهب مستعداً وباحثاً، أما الذين لم يستعدوا، فحجهم لن يعدو أن يكون أكثر من سياحة، فهم لا يذهبون هناك إلا لكي يعودوا كما ذهبوا.

والكعبة، القبلة، لا للذين يصلّون في المسجد الحرام فقط، بل للمسلمين جميعاً، وهم يقفون خمس مرات يومياً يؤدون صلواتهم في

دائرةٍ، الكعبة مركزها؛ وهم بهذا يشكلون هيئة اجتماعية عالمية عظيمة، لا مثيل لها في أية جماعة دينية أو غير دينية، ولو كان في المسلمين شعور حقيقي لهذا الدرس، لابتعدوا عن عوامل التمزق، وانضموا إلى هذه الهيئة؛ فالكعبة بحق هي رمز توحيد الله على الأرض، وهي رمز وحدة المسلمين وهيئتهم الاجتماعية.

وهكذا يدور المعنيان معاً: المعنى التاريخي والمعنى الاجتماعي مع كل الشعائر يرافقهما معنى الوحدة؛ وقد أحسن المؤلف تصوير هذه المعاني، وهي تسير جنباً إلى جنب حين يؤدي المسلمون شعائر الحج.

والحج علاقة بالله تعالى، وشعائر تصل ما بين الخالق والمخلوق، ورحلة إلى الله تعالى، لاستئناف المسيرة على هدى وبصيرة؛ وهو عطاء بقدر عفو الله، لا بقدر عمل الناس، وهو تجديد للإيمان، وهو تحقيق للتقوى والعفة والأخلاق الفاضلة، وتدريب على تجنب الثرثرة والرفث والمراء والعنف، وتعويد على الانضباط وإنكار الذات، والاندماج في الجماعة!

فحقيقة الحج حقيقة عظمى بلا ريب! ونجح في تجلية جوانب من حقيقة الحج بأسلوب رائع وثقافة عميقة، وجسد معاني عديدة تشعرنا بأنّ الحج رحلة العمر، وأنه من أفضل العبادات على عظمتها وفضلها وجلالتها، ففيه يتجلى التوحيد، والحنيفية السمحة، والأمة الوسط، والشهيدة على الناس،

والآمــرة بالمعروف، والناهية عــن المنكــر، والداعيــة لقيم الوحدة والتقدم والحضارة.

وفــي فقرة: إعــلان عام من الفصل الخامس، يبين المؤلف أهميــة البــراءة مــن الكفار والمشــركين، وأنّ مكــة هي المكان المناسب، لمنزلتها في القلوب، كما أنّ موســم الحج هو الوقت الملائم لإعلان مثل هذه البــراءة، فيميز بين نزول الأمــر بالتبليــغ فــي المدينة المنــورة، وبين الأمر بإعلانها على المسلمين وأن يكون في مكة، فيقول:

لقد نــزل حكم البــراءة من مشــركي الجزيــرة العربيــة وكفارهــا في المدينــة، إلا أنه أعلن بمكة خلال موسم الحج، وهذا دليــل واضــح على أنّ موســم الحج بمكة هو المكان الصحيح لإعــلان كل القررات الإسلامية الهامة.

فالحج هو المركز الاجتماعي لــكل مســلمي العالــم، وهم يجتمعون هنا وعليهم أن يعلنوا هنا قراراتهم الكبرى، وعليهم أن يضعوا هنا الخطط العالمية للأعمال التي تجب عليهم تنفيذاً لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

ومن أســباب مناســبة مكة والحج لهذا الإعلان ما يتحدث عنه في فقرة «أسلوب فطري» حيث يقول: ومن فوائد الإعلان الاجتماعي عنــد الحج أنّ مثل هذا الإعلان يكتسب نوعاً من القدسية؛ فإنّ الحج هو أقدس مــكان في نظــر المســلمين، والإعلان الــذي يتم عند الحج يكتســب نوعاً من القدســية والاحترام في أنظار الناس.

فهو في هذا كله وكما نراه في

حديثه الآتي يشير إلى الأسباب التي دعت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى إلقاء خطبته في حجة الوداع في موسم الحج من حيث الزمان، وفي مكة من حيث المكان، وأنها والموسم المبارك للحج أفضل ميقات مؤثر لإعلان ذلك، ولما يقرره المسلمون ونخبه.

وفي الفصل السابع تحدث تفصيلاً عن حج رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن أشار إلى الدور الذي قام به النبيّان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في نظام الحج، ومع تعرضه للفساد كان الحج قائماً مع ما طرأ عليه من زيف حين ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه ليس هناك معلومات قطعية عن عدد حجّاته صلى الله عليه وآله قبل الهجرة، فيما توفرت معلومات كاملة عن حجه بعدها؛ وأنه حج مرة واحدة وهي حجة الوداع، وإن وجدت روايات أنه أدى الحج قبل الهجرة مرتين، كما في سنن الترمذي، وابن ماجة، بينما لا يذكر صحيح مسلم إلا واحدة.

فيما قال بعض المحدثين: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحج كل عام وفق عادة أهل مكة؛ وفي طبقات ابن سعد أنه صلى الله عليه وآله لم يحج إلا مرة واحدة قبل الهجرة، بينما هناك كم وافر من الروايات حول حجة الوداع، لدرجة أنه يمكن وضع يوميات كاملة من بدء مسيرته للحج إلى نهايتها، وعن هذا الفرق بين هاتين الحالتين يقول: الفرق يكمن في الفارق الزمني، فإنّ حجة الوداع وقعت في أواخر حياته صلى الله عليه وآله وقد أصبح فاتحاً وحاكماً على الجزيرة العربية،

فلم يسجل لنا التاريخ حجاته الأولى بينما سجل الأخيرة بتفاصيلها، وقد ذكر عدداً من المصادر التي توفرت عليها، ثم دوّن لنا مختصراً لوقائع حجة الوداع سنة ١٠ هجرية قبل وفاته صلى الله عليه وآله بشهرين، وذكر أهميتها وأسماءها، وأنه وصل إلى مكة عصر الرابع من ذي الحجة وقطع هذا السفر من المدينة إلى مكة في تسعة أيام، وعندما وقع بصره على بيت الله قال:

«اللهم زد بيتك تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً» ثم أخذ يرفع يده مكبراً:

«اللهم أنت السلام ومنك السلام، حيّنا ربنا بالسلام».

واستمر بعرض تفاصيل حجته صلى الله عليه وآله وذكر دروساً مهمة مما استوحاه من حجه صلى الله عليه وآله.

وأخيراً لم يغفل المؤلف عن الجوانب العاطفية في الحج، فقد ذكرها في الفصل الرابع للكتاب، وهي جوانب مهمة جداً، لم أجد من تطرق إليها أو على الأقل باختيار عنوان مستقل واضح لها، وهي ما نختاره من فقرات كتابه، بعد فقرات من الفصل الثالث تبدأ من «الحج مؤسسة دعوية» ثم ننتقل بعد الجوانب العاطفية إلى ذكرياته عن رحلته للحج، دونها بوصف بسيط مملوء بالموعظة، وعن قصة براءة وحجة الوداع، فحديثه عن الوحدة ومركز التوحيد، وكلها وهناك غيرها توفر عليها كتابه، تجلّى فيها فكره، وصاغها قلمه، أرى أن فيها منافع تدعوني لقراءة أخرى، فقد حال بيني وبينها ضيق مساحة المجلة

عن استيعابها في عدد واحد، إذن نترك المؤلف يحدثنا عن هذه الفقرات التي اخترتها من بين فصول كتابه الجميل هذا:

الحج مؤسسة دعوية

الحج إعادة للتاريخ الإبراهيمي عليه السلام فالحاج يقلد بصورة رمزية مختلف مراحل الخطة العالمية، التي نفذت بواسطة إبراهيم عليه السلام معاهداً ربه بأنه سيسخر نفسه للرسالة الإلهية، التي سخّر إبراهيم نفسه من أجلها، وأنه سيظل يقوم بالعمل الدعوي الذي قام به رسول الله صلى الله عليه وآله خاتمًا للأنبياء.

وكان إبراهيم عليه السلام قد خرج من وطنه لتنفيذ خطة إلهية دعوية، وهكذا يقول الحاج بلسان حاله إنه مستعد هو الآخر ليترك وطنه من أجل الدين، وكان إبراهيم عليه السلام قانعاً راضياً بحياة بسيطة، وهكذا يعلن الحاج بواسطة الإحرام أنه سيكتفي بالحاجات الضرورية؛ ليركّز نظره على الهدف الأصلي؛ وكان إبراهيم عليه السلام قد أعلن ولاءه لله تعالى بالطواف حول البيت الحرام، وهكذا يعلن الحاج ولاءه لله تعالى بالطواف حول الكعبة المعظمة.

وكانت زوج إبراهيم قد سعت بين الصفا والمروة بحثاً عن الماء، وهكذا يُظهر الحاج بسعيه بين هذين الجبلين أنه مستعد للذهاب في سبيل الله إلى آخر الحدود، ولو يحدث لأهل بيته ما حدث لهاجر وإسماعيل.

وقد رمى إبراهيم الشيطان بالجمرات حين حاول أن يثنيه عن عمل الله تعالى، وهكذا يعلن

الحـــاج برميه الجمـــار بغضه للشـــيطان، وبأنه هـــو الآخر ســـيعامل الشـــيطان معاملة مماثلـــة، لو حـــاول أن يغويه مثلمـــا حاول إغـــواء إبراهيم؛ وكان إبراهيـــم قـــد اســـتعد ليضحي بحيـــاة ابنـــه ابتغاء مرضاة الله، وهكذا يعلن الحاج بتقديم الأضحية بأنه مســـتعد للذهـــاب إلـــى أقصـــى حدود التضحية من أجل الدين.

وكانت رســـالة الدعوة التي قام بها إبراهيم عليه السلام تهدف إلى تذكير البشـــر بيـــوم الآخرة، وهكـــذا يتجمـــع الحجـــاج في أرض عرفـــات، ليذكروا يوم الحشر، ويجعلوا هذه الحقيقة الكبـــرى جـــزءاً مـــن وعيهم؛ وليخبـــروا الآخريـــن بأمرها، وكلمـــا نـــادى الله إبراهيـــم، وجده مســـتعدّاً لتلبية دعوته، وهكـــذا يقول الحـــاج عند أداء كل شـــعائر الحج: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شـــريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والمُلك» وبهذا يعلن الحاج أنه مســـتعد لتلبية نداء ربه في كل آن.

والحقيقـــة أنّ بيت الله الحرام مركز الدعوة الإسلامية، وأنّ الحج هو المؤتمر العالمي لدعاة الإســـلام، والأفعال التي نقوم بها في الحج هي كلها علامات على مراحل من حياة إبراهيم في ســـبيل الدعوة، ومناســـك الحج إعادة رمزية لكل الوقائع التـــي وقعـــت لإبراهيم عليه السلام في مختلـــف مراحل نشـــاطه من أجل الدعوة، ويقلد الحاج هذه الوقائـــع «شـــعاراً» أي رمزًا وعلامة في أيـــام الحج؛ فيعقد العزم على أنه ســـيعيش داعياً كما كان إبراهيم عليه السلام داعياً إلى

الرسالة الإلهية، وبعض هذه الأفعال مراحل مباشرة لحياة الدعوة، بينما يعتبر البعض الآخر من هذه الأفعال مراحل غير مباشرة.

وتخبرنا حياة إبراهيم أنّ مناسك الحج كانت جزءاً من

المسلمين شعور بالدعوة وروح التبليغ؛ لاكتسب الحج تلقائيّاً أهمية دعوية، ولتحول إلى مؤتمر سنوي للدعوة، ولكن حين تنعدم روح الدعوة بين المسلمين يتحول الحج إلى عمل بلا روح، مثلما هو

حياته لأجل الدعوة، أو كانت محطات على مسيرته من أجل الله، ولكن الحج وزيارة الكعبة قد أصبحا نوعاً من نسك ديني سنوي لدى مسلمي العصر الحاضر، ولو قام في

عليه الآن في الغالب؛ إنهم يرمون الشيطان الحجري بالجمرات، ولكنهم لا يقومون بشيء لهزيمة الشيطان الحي؛ إنهم يقلدون أعمالاً رمزية، ولكن تكاد تنعدم فيهم رُوح

أداء الأعمال الحقيقية.

الحج وسيلة للوحدة:

إنّ أهم ما يميز مسلمي العصر الحاضر هو اختلافهم وانتشارهم؛ فما السبب في انعدام الوحدة الداخلية بينهم، بينما توجد لديهم مؤسسة اجتماعية نادرة كالحج؟!

وكان ينبغي أن يكون الحج ـ بمؤتمره السنوي العالمي ـ وسيلة قوية لاتحاد المسلمين، تذيب كل الخلافات الأخرى؛ ويعود السبب في هذا إلى أنّ الحج قد أصبح تجمعاً تقليديّاً بدلاً من أن يكون مؤتمراً حيّاً لحملة رسالة عظيمة.

وتتطلب الوحدة أن يُوجَد بين الناس هدف مشترك يركِّز أنظارهم وتوجهاتهم نحو الهدف الأعلى، فتوجهات الناس تتشتت في قضايا تافهة عندما يختفي الهدف الأعلى عن الأنظار، وهم لن يتحدوا فيما بينهم مهما عُقِدَت المؤتمرات الكبرى؛ والدعوة هي الهدف الأعلى للأمة المسلمة، وستتجه الأمة كلها إلى هدف أعلى لو برزت فيهم هذه العاطفة الدعوية، وعندئذٍ سيصبح مؤتمر الحج وسيلة لتحقيق الوحدة العالمية بين المسلمين، وبالتالي سيصبح الحج مركز الدعوة الإسلامية العالمية.

الحج عمل حيٌّ

وكان رسول الله ﷺ قد أدى حجة الوداع سنة ١٠هـ، وألقى في التاسع من ذي الحجة خطبة تفصيلية في وادي عرفات أمام أكثر من مائة ألف

من المسلمين؛ وتُعرَف هذه الخطبة بخطبة حجة الوداع، كما أنّ حجه هذا يعرف بحجة البلاغ؛ لأنه صلى الله عليه وآله أبلغ أمته كل التعاليم الإسلامية الأساسية في هذه الخطبة، وأخذ منهم عهداً بإبلاغها إلى الآخرين؛ وقال في آخر الخطبة: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب، فرُب مبلغ أوعى من سامع؛ وأنتم تُسألون عني، ماذا أنتم قائلون؟» قالوا: «نشهد أنك قد أديت الأمانة وبلغت الرسالة ونصحت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد».

وتُوفي رسول الله صلى الله عليه وآله بعد شهرين من هذا وكان الإسلام قد انتشر في بلاد العرب وحدهم في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وخرج أصحابه الكرام إلى خارج بلاد العرب، وجعلوا رسالة حياتهم تبليغ الإسلام، وسخَّروا أنفسهم بكل ما يملكونه لأجل نشر الدين الإلهي، وكانت النتيجة أن انتشر الإسلام في جزء كبير من العالم القديم خلال خمسين سنة من وفاته صلى الله عليه وآله والناس لايزالون يؤدون وبدون انقطاع فريضة الحج بصورة منتظمة، ويردد الإمام كل سنة كلمات مماثلة لما قاله رسول الإسلام قبل أربعة عشر قرناً، ولكن كلمات هؤلاء الأئمة لا تؤدي إلى نتيجة ما هذه الأيام فما الفرق بين الحالتين؟!

إنّ الفرق يعود إلى أنّ الحج كان عملاً حيّاً في الماضي، وقد تحول اليوم إلى عمل تقليدي، والذين كان رسول الإسلام

يخاطبهم في حجة الوداع كانوا قد تجمعوا هناك لكي يسمعوا ويطيعوا، أمـا جموع الحجاج التي تتوجه إلى مكة والمدينة هـذه الأيام فلا يهمهـا إلا أن تؤدي بعـض الطقوس لتعود مرة أخرى إلى بلدانها؛ فتعيش كما كانت تعيش من قبل.

ومن هنـا نـدرك أنّ إحياء الحج كفاعـل مؤثر في الحياة الإسلامية اليوم يقتضي إحياء الحجاج؛ وما لم نُحي شـعور الحجاج، وبكلمة أخرى شعور المسلمين، فستظل عبادة الحج بدون أثر تماماً كبندقية فاسدة لا تطلـق النـار عندما يُضغط على زنادها.

تنظيم جديد للحج

وإحيـاء الحـج بروحـه الأصليـة يقتضـي إحيـاءه كمؤسسـة للدعـوة؛ فينبغي تسخير الحج كمركز للتخطيط العالمـي للدعوة الإسـلامية، وينبغي أن يعرض الناس من مختلف البـلاد أحوال الدعوة في بلدانهم في هذه المناسـبة العالميـة، فينبغـي أن يطلـع الناس على تجـارب المناطق الأخرى ويستفيدوا بها، ويجب على خطب الحج أن تركز على بيـان أهمية الدعوة وتشـرح إمكاناتها الجديـدة، وأن تُعدَّ مؤسسـة الحج مكتبة دعوية بمختلف اللغات؛ ليتم نشـرها على المستوى العالمي.

وينبغي أن ندرك أنّ توجيه الحـج علـى هـذه الخطوط الجديـدة لن يتم بدون توجيه حياة المسـلمين على خطوط جديدة، فمسـؤولية المسلمين الأساسـية هـي الشـهادة

على النـــاس، وعلاقاتهم مع الشـــعوب الأخرى هي علاقة الداعي والمدعـــو، ولكن هذه الحقيقة قد غابت عن مســـلمي العصر الحاضر؛ ويجب إحياء المسلمين كجماعة داعية؛ لكي يتم إحيـــاء الحج كمؤسســـة للدعوة، ويجب إقناع المسلمين بأن يُنهوا أنشـــطتهم القومية في كل أنحاء العالم التي تحول دون قيام جو الداعي والمدعو بينهم وبين الشعوب الأخرى؛ ولـــو لم يتوفر مثـــل هذا الجو بينك وبين الشـــعوب الأخرى، فمن ســـتدعو ومن سينصت إلى دعوتك؟

ثم يقتضي هذا الهدف أن نقيم جامعات من الطـــراز الأعلى، وتكـــون مناهجهـــا وأنظمتها موجهة للدعوة بصورة كلية، وأن تقـــام مؤسســـات تربي الدعاة تربية دعوية صحيحة، وأن تنشـــأ مكتبـــة تخلـــق بين النـــاس العقليـــة الدعوية وتسلحهم بمعلومات الدعوة، بـــل ويقتضـــي هـــذا الهدف أن ننشـــئ من جديـــد المكتبة الإسلامية الأساسية؛ لأن كتب التفسير والسيرة التي ألفت في العصر الحاضر قد كتبت بدافع رد الفعل على وجـــه العموم، فقد ظهـــرت هذه الكتـــب ردّاً على حملات الشعوب الأخرى الفكرية والعمليـــة، ولم تظهر لأجل الدعـــوة إلى الإســـلام بصورة إيجابية.

ولو عدتَ بمخيلتك إلى الوراء، إلى بدء العصر المكي؛ فسترى رسول الإســـلام يطوف حول الكعبة وحيداً؛ فكان للإســـلام تابع واحد فـــي العالم كله، أما اليوم فستشاهد جموعاً غفيرة

كل يوم تطــوف حول الكعبة، ثم ترى الجمــوع تتقاطر إلى مكة من كل أنحــاء العالم في أيام الحج؛ لدرجة أنّ المسجد الحــرام يضيق بهم كل ســنة على توسعته المستمرة، فكيف تحققت هذه الكثرة؟! والرد هو أنّ هذا تحقق بالدعوة.

فالحقيقــة هــي أنّ مؤتمــر الحج العالمي مظاهرة سنوية لقوة الدعوة الإســلامية، وهو يخبرنا بأنّ الله تعالى قد أودع أسرار كل الرقي والعظمة في قوة الدعوة الإســلامية؛ فنجاة أهل الإسلام دنيويّاً وأخرويّاً رهــن بقيامهم بهــذا الواجب، ونعرف مــن دروس التاريخ أنّ قوة الإسلام كانت دائماً في دعوته؛ صحيح أنّ الإسلام لم يتمكن في بدايتــه من التأثير فــي عوام النــاس بمكة إلا أن كل الأفراد ذوي القيمة، الذين أصبحــوا فيمــا بعــد أعمدة التاريخ الإســلامي هم أولئك الذين وجدهم الإسلام في بداية العصر المكي، وهذا يعود إلى الدعوة الإسلامية وحدها؛ لأنّ الإسلام لم يكن يمتلك قوة ما غيرها حينذاك.

ورجال مكة الذين أســلموا فيمــا بعد هــم أيضــاً تأثروا بأحقيــة الإســلام الفكريــة؛ واســتحكم أمر الإســلام في المرحلة الثانية، أي في العصر المدني بواسطة الدعوة نفسها، فلم يغزها الرسول ولم يفتحها عســكريّاً؛ بل آمن البعض من أهل المدينة بالإسلام ورجعوا دعاة إلــى الإســلام؛ فبدءوا يدعون الناس بأسلوب بسيط، بالإضافة إلى جهــود الداعية مصعب بن عميــر، ونتج عن

هــذا دخــول النــاس أفواجاً إلى الإســلام إلى أن أصبحت المدينة المركز الفكري والعملي للإسلام.

والحج وبيت الله علامتان على خطة دعوية عظيمــة، فعندما لم يســمع صوت إبراهيم عليه السلام في مناطــق العراق والشــام ومصر «المتحضرة» أســكن أسرته ـ بأمر الله ـ بمكة وبنى بها الكعبة؛ لتكون مركزاً دائماً للهداية الإلهية:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.[2]

ويروي عمــرو بن عوف أنّ رســول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن الدين ليأزر إلى الحجــاز كما تأزر الحيــة إلى جحرهــا وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبــل إن الدين بدأ غريباً ويرجــع غريباً، فطوبى للغربــاء، الذيــن يصلحون ما أفســد الناس مــن بعدي من سنتي».[3]

وهــذا يعنــي أنه كمــا كان الحجاز مركز الدعوة الإسلامية في حياة الرســول صلى الله عليه وآله فكذلك سيصبح الحجاز مركز إحياء الدين الإلهي، حين يختفي أثره من حياة النــاس؛ فالحج مقام العبادة الإلهيــة كما هو مركز الدعوة إلــى دين الله وتجديده. وتقتضــي الحاجــة أن نحيي الحج ومركز الحج مرة أخرى من هذه الناحية.

وقــد فتحت الثــورة العلمية كثيراً مــن الإمكانات الجديدة؛ ويمكــن نتيجة لهذه الإمكانات أن نســتخدم مؤتمــر الحــج العالمي لأجل التخطيط للدعوة على مســتوى أعظــم من أي

وقت مضى؛ فنجعل منهج الفكر الإسلامي هو المنهج الفكري الغالب على العالم مرة أخرى تماماً كما كان في العصور الماضية؛ هذا هو المعنى الذي يعبِّر عنه القرآن الكريم بكلمات «إظهار الدين» و «إعلاء كلمة الله» ولا يتحقق هذا الهدف إلا بإحياء أهمية الحج الدعوية مرة أخرى.

الجانب العاطفي في الحج

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾.[٤]

ونعرف من هذا أنّ عاطفة عبادة الله قد أودعت في النفس الإنسانية بصورة جبلية، فليس على الإنسان أن يعبدالله مراعاة للواقع فقط؛ بل فطرته هي الأخرى تطالبه بذلك؛ لأن عبادة الله هي من صميم الطبيعة البشرية، هذا هو السبب في أنه لا يوجد شيء يبعث في الإنسان الطمأنينة والسكينة الحقيقية مثل عبادة الله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.[٥]

فكما أنّ الطفل الصغير يلجأ إلى أمه بصورة جِبِلِيَّة؛ فكذلك تقتضي جِبِلَّة الإنسان أن يلجأ إلى ربه، وليس بمقدور الإنسان أن يغير من شخصيته الداخلية، وكذلك ليس بمقدوره كذلك أن يطرد فكرة الله من قلبه ومخه، شهادة علم الإنسان المعاصر: وقد أثبت علم الإنسان المعاصر هذه الحقيقة بصورة علمية، وقد درس خبراء علم الاجتماع الحديث المجتمع البشري بعمق، ومن أهم الحقائق التي ظهرت عقب دراسة المجتمعات البشرية من

العصور الغابرة إلى اليوم أنّ الإنسان ظل مؤمنًا بالله بالرغم من كل التطـورات والتغيرات التي مـر بها؛ فالإيمـان بالله والديـن جـزء لا يتجـزأ من الفطرة البشـرية، وننقل فيما يلي فقرة مـن دائرة المعارف الأمريكية.

دائرة المعـارف الأمريكية ٢٣ :٣٥٤ ، ط. ١٩٦١حـول بحوث علم الإنسان المعاصر:

كان الإنسـان مؤمنًا بالدين بدرجـات متفاوتـة منذ بداية التاريخ البشـري، فكان دائماً يؤمـن بإلـه أو بعـدة آلهـة طالبـاً الحمايـة، وكانت هذه الآلهـة مصنوعة فـي بعض الأحايين من خشـب أو حجر، كمـا أنها اتخذت فـي أحايين أخـرى أشـكال حيوانات أو زواحف أو حيوانـات مخيفة تسـعى إلى مصّ دماء الذين يعبدونها، ولكن أيّاً كانت هذه الآلهة فقـد عبدها الإنسـان؛ لأنّ الدين ـ المتمثل في عبادة قوة خارقـة للطبيعـة ـ جزء لا يتجـزأ من نسـيج الطبيعة البشرية؛ والحقيقة أنّ الشعور بالله كامن بصـورة جِبِلِيَّة في الفطرة الإنسانية، ولكنه شعور إجمالي.

وعندما لا يهتدي الإنسـان إلى الإله الحقيقـي؛ فهو يتجه إلى عبادة الآلهة التي تصنعها أوهامـه؛ وسـتجد الفطـرة البشرية سـكينة لهذه العاطفة الفياضة في عبـادة الله وحده الذي لا شـريك له لو تيسـر لهـا الاهتداء إلى رسـالة نبي من أنبياء الله، أمـا لو لم تظفر بالهداية النبوية؛ فستعبد آلهة باطلين لتسـكين هذه العاطفة

بصورة اصطناعية.

والمقصود الأصلي للإنسان واحد لا غير، وهو خالقه ومالكه؛ وهذا المقصود الأصلي جزء عميق من فطرة الإنسان، ولو أنصت الإنسان إلى طبيعته؛ فإنه سيهتدي إلى الله، وهو سيشعر به في نبضات قلبه، فهذه الفطرة «لا شعور» الإنسان، والرسول ينقل الإنسان من هذا اللاشعور إلى مستوى «الشعور».

ولكن الإنسان مخلوق من نوع معين؛ فلا تكفيه المعرفة الغيبية؛ بل هو يريد أن يكتشف الله بصورة حسيَّة أيضاً؛ فيدرك الله إدراكاً محسوساً؛ ولكن العائق هنا هو أنه لا يمكن للإنسان أن يدرك الله إدراكاً محسوساً حقيقيّاً ... واختلفت أفهام وأقوال علماء المسلمين فيها:

١. لا يرى سبحانه وتعالى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهو محل اتفاق العدلية.

٢. تجوز رؤيته في الدنيا والآخرة، ومنهم المجسمة الذين يصفونه سبحانه بالجسم ويثبتون له الجهة.

٣. وأهل الحديث والأشاعرة، مع أنهم يعدون أنفسهم من أهل التنزيه، ولا يثبتون الجسمية والجهة لله سبحانه، قالوا برؤيته يوم القيامة، وأنه ينكشف للمؤمنين انكشاف القمر ليلة البدر.

سورة البقرة، آية شعائر الله

كيف يمكن تلبية هذه الرغبة البشرية في هذه الدنيا؟! وقد هيأ الله تعالى إجابة على هذا

السؤال في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.[٦]

لقد جعل الله بعض الأشياء ـ لأهميتها التاريخية ـ «شعيرة» أي علامة عليه؛ وقد وفر الله تعالى حول هذه العلامات حالة معينة بحيث تعتبر مشاهدتها هي مشاهدة الحقائق العليا؛ لكي يجد الإنسان بصورة غير مباشرة الحقيقة العليا التي لا يمكنه أن يجدها بصورة مباشرة في هذا العالم؛ فالإنسان لا يستطيع أن يجد الله في هذه الدنيا، إلا أنه يستطيع أن يشاهد شعائر الله، وليس بإمكان الإنسان أن يجد الله في هذه الدنيا؛ فيلمسه أو يشعر بقربه إلا أنه يستطيع أن يلمس شعائر الله؛ فيحصل على التجربة الحسية للقربة الإلهية.

والشعيرة، وجمعها شعائر، تعني علامة أو تذكاراً، فهي ليست أصلاً في ذاتها؛ بل هي تذكِّرنا بالأصل بناء على علاقة ما، ومن أمثلته جبلا الصفا والمروة اللذان قال عنهما القرآن: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ والصفا والمروة جبلان بمكة بالقرب من بيت الله، والمسافة التي تفصل بينهما نحو ٥٠٠ قدم، ولم يكن بهذه المنطقة سكان أو مياه حين أسكن إبراهيم عليه السلام زوجه هاجر وابنه الرضيع إسماعيل؛ وحين انتهى ما كان لدى السيدة هاجر من ماء، سعت سبع مرات بين هذين الجبلين بحثاً عن الماء، واليوم يسعى

الحجاج سبع مرات بين هذين الجبلين تخليداً لذلك السعي.

وقد أحب الله تعالى هذه الواقعة؛ فجعل الصفا والمروة شعيرتين لله؛ أي أنهما تذكاران أصيلان للعبودية لله، فنتذكر تاريخًا كاملاً برؤية الصفا والمروة، حين هجر عبد من عباد الله وطنه الخصيب «العراق» وأسكن زوجه وابنه في منطقة جدباء ابتغاء مرضاة الله وحده، وهذا مثال كامل للاعتماد على الله والثقة به.

وهكذا الكعبة، والحجر الأسود، ومقامات الحج الأخرى، هي كلها من شعائر الله وهي علامات على حياة العبودية الخالصة التي عاشها الموحد الكامل إبراهيم عليه السلام فنتذكر حياة إبراهيم التوحيدية برؤية هذه الشعائر، وتتجسد للناظر إليها عظمة الله وجلاله، ويشعر الإنسان وهو في بيئة هذه الشعائر كأنه في بيئة الله.

ومن آثار لمس الحجر الأسود استيقاظ العواطف الروحية في نفس الإنسان؛ لتسكن هذه العاطفة الجياشة في الصدور، وليظفر الإنسان بسكينة هذه العواطف بلمس الحجر الأسود، وهكذا يتوق الإنسان إلى أن يطوف حوله؛ ليسكن هذه العاطفة بالطواف حول بيت الله المقدس.

ويريد الإنسان أن يسعى ويجري في سبيل ربه وهو يحصل على سكينة لهذه العواطف حين يسعى بين الصفا والمروة، وهكذا تسكن كل مراسم الحج بصورة أو أخرى العواطف الكامنة في

النفس البشرية، وهي وسيلته لإقامة علاقة حسية مع ربه في هذا العالم.

وعاطفة العبودية لله وحده كامنة في فطرة الإنسان؛ وما الشرك وعبادة الأصنام إلا إساءة لهذه العاطفة الفطرية؛ أما عقيدة التوحيد فتوجه هذه العاطفة الفطرية وجهة صحيحة، وهكذا مراسم الحج؛ فالحج من إحدى النواحي إصلاح لخطإ بشري، وهو يمنع الإنسان من السير في الاتجاه الخاطئ، ويوجهه الاتجاه الصحيح، فالحج شكل صحيح لتسكين عاطفة بشرية يبحث الإنسان عن سكينتها بأساليب باطلة.

ويريد الإنسان المنحرف الضال أن «يشاهد» ربه في الدنيا، وأن «يجده» بصورة حسية؛ لكي يؤدي أمامه مراسم العبودية، ولكي يسكن الإنسان هذه العاطفة نحت صوراً مرئية أو أصناماً وتماثيل وأخذ يعبدها ظنّاً منه أنها على صورة الله، ولكن هذا السلوك «إلحاد» أي انحراف في تعبير القرآن؛ وشعائر الله إجابة أصح وأفضل للبحث البشري الضال لتسكين عاطفة فطرية في صورة الأصنام؛ وأن تصنع صنماً لله ليس كأن تصنع تمثالاً لأحد البشر، فالذي يصنع تمثالاً لشخص ما يكون قد رأى ذلك الشخص، أو اطلع على صورة له على الأقل؛ ولكن لا يمكن لأي صانع تماثيل أو أصنام أن يدعي أنه قد شاهد الله.

والذي يصنع صنماً لله فهو يحدد ويحجم ذلك الوجود الذي

لاحدود له، وهو يضع وجوداً أعلى وأعظم في قالب أشـياء أدنى؛ وكل عمل من هذا النوع مخالف للواقـع، وهو مرادف للخروج والتمرد على الخالق؛ والحج في ناحية من النواحي إصلاح لهذه العقلية البشـرية؛ ورسالة الحج هي: لا تحاولوا أن تهبطوا بإله إلى مسـتوى التماثيل؛ بـل انظروا إليه على مسـتوى شـعائره، فليـس بوسـعكم أن تجدوه في هذه الدنيا على مستوى ذاته الإلهية، ولكـن يمكنكم أن تجدوه على مستوى آثار تلك الذات العليا، وهـي «الشـعائر» التي قامت نتيجة أعمال عباد الله العظام، وهي الاعتبار، والتأسـي بتلك اللمحات التاريخيـة التي قام خلالها اتصال بين الله ورسوله الصالح إبراهيم عليه السلام وشعائر الله هي آثار أولئـك العظام الذين اختاروا العبودية لله بصورتها العليـا المعياريـة، وآثارهم هي التي تُوصَف بشـعائر الله، وتُؤدَّى جميع مناسـك الحج عنـد هـذه الشـعائر، والبعد عنها بعد عن الله،

والعلاقة بها علاقة بالله.

علاقة بالله

ومن أهم جوانب الحج أنه لقاء العبد بالحقيقة العليا، وتغشى العبد كيفيات ربانية من نوع خاص؛ فيشعر بأنه قد خرج من «دنياه» إلى «دنيا الله» وأنه يلمس ربه ويطوف حوله ويسعى نحوه ويسير هنا وهناك من أجله، ويقدم الهدي لمرضاته، ويرمي أعداءه بالجمرات، ويسأله كلما أراد أن يسأله، ويجد منه كل ما رغب فيه.

وميدان عرفات منظر عجيب فترى عباد الله يأتون فوجاً بعد فوج من كل النواحي، وعلى جسد كل واحد منهم لباس بسيط من نوع واحد، وقد فقد الكل صفته المميزة، وعلى لسان الكل شعار واحد «لبيك اللهم لبيك، لبيك اللهم لبيك».

وإنه حين ترى هذا المنظر تتذكر الآية القرآنية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.[٧]

والحقيقة أنّ اجتماع عرفات خبر مقدم لاجتماع يوم الحشر، بحيث ترى في هذه الدنيا صورة من صورة الآخرة، وقد جاء في الحديث: «الحج عرفة» ويخبرنا هذا الحديث بأهم أهداف الحج، وهو أن يتذكر العبد مثوله أمام الله في ميدان الحشر، وأن يجري على نفسه رمزيّاً وذهنيّاً ما سيجري عليه غداً فعلاً وحقيقة.

والكعبة هي بيت الله الواحد الأحد، وقد بناها نبيان جليلان هما إبراهيم، وإسماعيل عليهما السلام وذكريات حياتهما العليا، ووقائع تضحياتهما المدهشة مرتبطة بهذا البيت، وعبير حياة رسول آخر الزمان، وأنشطته الربانية يعطر أجواءه.

والمسلم يقرأ عن وقائع هذا التاريخ المثالي للعبودية والتضحية من أجله في الكتب، هو يسمع منذ صباه ـ وحتى خروجه للحج ـ وقائع هذا التاريخ لدرجة أنها تصبح جزءاً لا يتجزأ من ذاكرته، وتحيا كل هذه الذكريات فجأةً حين يصل الإنسان بعد وعثاء السفر، ويقف وجهاً لوجه أمام الكعبة، فهو يجد نفسه واقفاً أمام تاريخ كامل، تاريخ خشية الله، وحبه، والتضحية من أجله، واختياره معبوداً بدون شريك، والاعتراف به قادراً مطلقاً، ومحو النفس من أجله ولمرضاته، إنك تجد تاريخاً ربانيّاً عظيماً كهذا مُجسَّداً في صورة الكعبة، فترى هذا التاريخ مكتوباً على الأحجار والرمال، ويهتز عقلك بهذه التجربة التي تذيب قلبك، وتحولك إلى إنسان جديد تماماً.

رحلة للحج

ويختم هــذا بقوله: وكنت قد كتبت في رحلتي للحج ســنة ١٩٨٢ كنا نقيم بشارع إبراهيم الخليل القريب جدّاً من الحرم، ولذلك كنتُ أقضي معظم وقتي داخــل الحرم ما عــدا أوقات الأكل، وفترات النوم القصيرة، وكانــت وتيرتــي كل يوم أن أتوضأ بماء زمــزم عند باب الهجــرة، ثم أشــرب من مائه حتى أرتوي، ثم أدخل الحرم، وكنتُ أذهب في معظم الأوقات إلى الجــزء العلوي من الحرم؛ لأنه كان أكثر ســكوناً لخلوه النســبي من الزحــام، وكنتُ أصلــي هناك، وأتلــو القرآن، وأنظر إلى الكعبة، وأتذكر الله، وكانت الساعات تلو الساعات تمــر هكــذا بدون أن أشــعر بمــرور الوقــت، ومهما كان الوقــت متأخــراً إلا أنني كنتُ أشعر ـ عند العودة من الحرم ـ أن نفسي لم ترتوِ بعد، والكيفية التــي تمر على قلب الإنســان وهو جالــس أمــام الكعبة لا يمكن بيانها بالكلمات.

الراحة في المعاناة:

يتجمع أناس مــن كل أنحاء العالــم خلال الحــج، ويتأذى النــاس بعضهم مــن البعض الآخر مرة بعــد أخرى خلال الحج، ويجد المرء نفســه في مواقف تشــق على نفسه؛ ولو توجه المرء في موقع كهذا إلى ربه؛ لتغيرت حاله، وستتحول أمرُّ التجارب إلى أحلاها عنده، والشــيء الذي يعطيه الرزق النفســاني في الأحوال العادية ســيتحول إلى الرزق الرباني في مثل هذه الحالة.

وعلى سبيل المثال: أنت واقف تصلي في المسجد الحرام، فإذا بطوفان من الناس يزحف ولا يجد متسعاً من المكان، فيقف الناس أمامك يصلون، وأنت لا تجد متسعاً حتى للركوع والسجود بصورة سليمة؛ ولو توجهت ببصرك إلى أولئك الناس، فلن تجد في نفسك إلا مشاعر الغضب والبغضاء، ولكن أمرك سيتحول إلى شيء آخر تماماً لو بدأت تحاسب نفسك في هذه الحالة، فقلت: يا رب تقبل مني هذه الصلاة على ما فيها من نقص؛ لأنّ صلواتي الأخرى التي أظنها صحيحة في ظاهر الأمر هي ضعيفة وناقصة كصلاتي هذه؛ ولو حول الإنسان ذهنه على هذا النحو فستختلف حاله تماماً، والحدث الذي يغذّي عامة الناس بالغضب والبغضاء سيعطيهم غذاء القرب الإلهي في مثل هذه الحالة.

وهكذا تحدث مختلف التجارب المريرة خلال الحج، مثل زحام البشر عند رمي الجمرات، وغيره من المناسبات، وشدة الحر بمنى وعرفات، وتدافع الناس لأجل الماء، وتقع أحداث وتجارب كثيرة خلال رحلة الحج، ولو ركّزت بنظرك على ذلك الحادث وحده، فستثور في نفسك نوبات الغضب والتوتر؛ أما لو بدأت تفكر في أنه لو كانت مشكلات هذه الدنيا الصغيرة مزعجة إلى هذا الحد، فكيف ستكون مشكلات يوم القيامة؟ فستجد من فورك أنّ الشيء الذي كان يزعجك هو عينه مبعث الراحة في نفسك

ورحمة من ربك تظللك.

رحلة غير عادية:

وقد كتبت في رحلتي المذكورة للحج في معرض انطباعاتي: خرجت زائراً بعض البلدان سنة ١٩٨٢، ولم يكن الحج في برنامج زيارتي، ولم يكن حتى يجول في خاطري حينئذ أن أتوجه إلى الحجاز، لتأدية الحج تلك السنة؛ وحين ذهبت إلى بلد أفريقي، وجدت هناك صديقاً كريماً، وفجأةً توفرت أسباب سفر الحج، وحدث لي في هذه القضية ما يصوّره أحد شعراء الأردية في بيت شعر له يمكن ترجمته كالآتي:

أسأل موسى عن أحوال عطايا الرب.

فهو يذهب باحثاً عن نار، ويفوز بالنبوة.

وكان من باب الحرمان أنني لم أكن قد خططتُ بعد لرحلة الحج، لقد خرجت من أرض الوطن في سفر آخر، ولكن الله تعالى أوصلني بصورة غريبة ـ عبر رحلة في آسيا وأوروبا وإفريقيا ـ إلى أرض الحرم لأنعم بالحج، كنت حاجاً ولكن الله تعالى وحده الذي هيّأ لي أسباب الحج؛ فليس لأحد آخر يد في هذا السفر، ووصلت في نهاية الأمر إلى الحرم، ووقع بصري على الكعبة، فكان منظراً لا يمكن للكلمات أن تعبر عنه، فأن تنظر إلى الكعبة وتجد نفسك في رحاب تجربة يعجز قلمي عن التعبير عنها، ومرت بقلبي كيفية عجيبة بهذه النعمة، التي لم أكن أتوقعها، فخرج من

لســاني: يا رب، لم أخطط في حياتي إلى اليوم لرحلة الحج، أي أنني كنت راضياً أن أموت بدون الحج، فما أعظم إحسانك أن أنقذتني مــن هذا الحرمان الذي لا يوصف بكلمات.

وهــذه الانطباعات في ظاهر الأمر هــي انطباعات حاج في لحظات خاصــة، ولكن ينبغي أن تكون هــذه انطباعات كل حاج، فعليه أن يدرك أنّ حجه إنما هو تدبير مــن الله تعالى، وعليــه عندما يجد نفســه في رحاب الحرم أن يشعر بأنّ الله وحــده أوصله إلــى هنا، فقد خــرج كمســافر عــادي من وطنــه، والآن هــو ضيف الله فــي بيته ولم يقطــع الحاج إلا المســافات المادية، ولكنه حلّ فــي بيئــة تفيــض بالبركات الإلهية الربانية، ولم يكن لديه إلا الحرمــان، لكــن الله تعالى برحمته الخاصة حول حرمانه إلى إنعام.

العطاء بقدر الكفاية:

الكعبة علامة من علامات الله على وجه الأرض، لقد وفّر الله هنا أســباباً تاريخية، فلا يبقى زائر لها بــدون أن يتأثر بها، وهو المكان الــذي تعانق فيه الأرواح الضالــة ربَّها، وهناك تفيــض عيــون العبودية من القلــوب المتحجرة، وتشــاهد العيون العميــاء تجليات ربها؛ ولكــن مبــدأ «العطــاء بقدر الكفاية» يجري في هذا العالم، ولا يظفر بالعطاء إلا من يحمل الكفايــة لتلقيــه، أمــا عديمو الكفايــة فلا يعــدوا أن يكون حجهم ســياحة، فهم يذهبون إلى هناك ليرجعوا كما كانوا.

وكتبت في رحلتي المذكورة: المناظر الربانية التي شاهدتها هناك لا سبيل إلى بيانها، والمناظر البشرية التي رأيتها هناك، لا سبيل إلى وصفها كذلك، فقد رأيت الناس مشغولين في شراء الحاجات الدنيوية، بينما وجدت البعض الآخر منهم وهو يقوم بإظهار عاطفته الدينية الجياشة بدفع الآخرين؛ ليخلو له المكان بينما مثل هذا السلوك لا يجوز أصلاً في الحج.

والمناظر الربانية تملأ الجو لكي ينهمك فيها الإنسان؛ ولكن معظم البشر المجتمعين هنا منهمكون في المناظر البشرية، والملائكة تنزل هنا لكي يناجيهم البشر، ولكن الناس يناجون بعضهم البعض، والآخرة معروضة هنا للبيع، ولكن الناس يتساقطون ليشتروا الدنيا، وحيث كان ينبغي أن يبقى الإنسان في الخلف خشية من الله، يتدافع الناس إلى الأمام ليظهروا مهارتهم في سبق الآخرين.

بعض الناس يفهم حث الرسول صلى الله عليه وآله على الصلاة في الصف الأول، على أنها معركة يجب أن يسبق فيها، لكن الحقيقة أنّ المراد الذهاب للصلاة مبكراً بدون سباق وتخط للرقاب وتكدير للآخرين.

بعض الانطباعات:

وكتبت كذلك في رحلتي هذه للحج: قمنا بأداء طواف الوداع مساء ٤أكتوبر ١٩٨٢، وتوجهنا إلى المدينة ليلاً؛ وكانت كيفية عجيبة تنتابني عندما خرجت

من الحرم بعد هـذا الطواف، فكنت ألتفت إلـى الخلف مرة بعد أخرى؛ لألقي نظرة أخرى على بيـت الله الحـرام، كانت قدماي تسـيران إلـى الأمام، ولكن قلبي كان مشـدوداً إلى الخلف، وكنت أشعر أنني أخرج من وطنـي الحقيقي إلى وطن غريب؛ وبهذه الكيفيات غادرت المسـجد الحرام متوجهاً إلى المدينة ليلة ٤ أكتوبر.

وكان دخولنـا إلـى الحرم المدنـي مؤثراً غايـة التأثر، فقد مـرَّ أمامي التاريخ الكامل للإسـلام ورسـول الإسلام، وخـرج الدعـاء الآتـي مـن شـفتيّ: يا رب أصلي وأسلم علـى رسـولك، اكتبنـي في أمة رسـولك، واجعلني فيمن سيشفع لهم يوم القيامة ممن ستقبل فيهم الشفاعة، وتنجيهم من عذاب الجحيـم وتدخلهم الجنة.

وكنـا في فنـدق بالقرب من المسجد النبوي، وكان صوت الأذان والتكبيـر يصـل إلـى داخل غرفتنا، ووفّقت إلى أداء الصلوات عدة أيام في المسجد النبوي، ولكن هجوم المصلين لم يكن يسـمح لنـا أن نؤدي الصلوات في سـكون، وكنت أعاني من هذا في الحرم المكي خلال الأيـام الأولـى إلى أن بدأت أصلي في طابقه العلوي حيث كنت أتمتع بسكون كبير، ولا نعرف لماذا لم يبنوا دوراً علوياً للمسـجد النبوي أيضاً؛ لكي يلجـأ إليه الإنسـان من الزحام.[٨]

والمسجد النبوي واسع وفخم بصـورة غير عاديـة، ولكنه على سـعته لا يكفـي للأعداد

المتزايدة من الزوار، ولم يكن منظراً سعيداً لشخص مثلي أن يرى الدكاكين والفنادق تحيط بالمسجد ما عدا جانباً واحداً أقاموا عليه بناءً أشبه بالخيام لأداء الصلاة، وليت المسجد النبوي كان محاطاً بالميادين المفتوحة من كل جانب لتظهر عظمته، وهذا هو عين ما يجده المرء حول الحرم المكي؛ وقد هيأت الحكومة، الكثير من أفضل التدابير لتسهيل المناسك، الأمر الذي سهل الحج كثيراً في العصر الحاضر، ولكن هناك شيء يبدو أنه لا حلّ له، وهو هجوم الحجاج، وخصوصاً تدافع الناس على بعضهم البعض عند رمي الجمرات، الذي يعتبر أمراً مؤسفاً للغاية؛ وكثير من الناس يهجمون في وقت واحد لرمي الشيطان بالجمرات، ولكن يبدو أنهم توّاقون إلى تحطيم الإنسان الحقيقي أكثر منه إلى رجم الشيطان الرمزي، ولم أرَ في حياتي مثالاً أسوأ من هذا التجاهل لأمر إلهي في سبيل تأدية أمر إلهي آخر، وقد رأيت عدداً من الناس بالجبس حول أيديهم وأقدامهم لإصابتهم، ثم شاهدت حاجاً يتساقط أمام تدافع الحجاج ويموت تحت أقدامهم، وأخبرني الناس أنّ وقائع كهذه تحدث كل سنة، فما أعجب هذا الحج الذي يتدافع فيه الناس لرمي عدو رمزي فيقتلون إنساناً حقيقياً!

تجديد الإيمان:

ويمكن اعتبار الحج تجديداً للإيمان، فكأن الحاج يبايع ربَّه مباشرةً عندما يصل إلى مكة،

ويطوف حول الكعبة مردداً «لبيك اللهم لبيك»، وسقوط الذنوب السابقة على الحج يقع طبقاً لنفس القانون الذي يُسقط الذنوب التي يرتكبها المرء قبل إسلامه؛ وتبدأ هذه المعاملة الإلهية مع العباد عند إيمانهم الأول، وتكتمل بعد الإيمان الثاني المتمثل في الحج، فإذا كان الإيمان الأول إيماناً بصورة غير مباشرة، فالإيمان الثاني إيمان مباشر؛ ويكفي الإيمان الأول لتطهير العبد من تبعات ذنوبه السابقة، ولكنه يكتمل بالإيمان الثاني لو كان العبد مستطيعاً رحلة الحج، ولعله لهذا ورد في الحديث: «من استطاع أن يحج ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً».[٩]

الوحدة الإسلامية

وعن الحج والوحدة الإسلامية، والعلاقة بينهما، وآثار الحج في المشروع الوحدوي للأمة، يقول لمؤلف:

الوحدة الإسلامية جانب من جوانب الحج، فالمسلمون من كل أنحاء العالم يجتمعون في مكان واحد، ويؤدون معاً مناسك الحج، فالحج هو الاجتماع الديني العالمي للمسلمين، ولنتدبر معاً الآيات القرآنية التالية:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأمناً﴾.[١٠]

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾.[١١]

﴿جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾.[١٢]

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾.[١٣]

﴿وَأَذِّنْ فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.[١٤]

المركز العالمي للتوحيد:

نعرف من خلال هذه الآيات أنّ الهدف الإلهي وراء بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة، كان إعداد مركز لأهل التوحيد، يؤمه الناس من قريب وبعيد، وهيّأ الله أسباباً تاريخية حول الكعبة؛ لتنجذب إليها قلوب الناس، فيقصدوها جماعات وأفواجاً، فبيت الله هو المركز الإسلامي العالمي إلى يوم القيامة، وهو مقر الاجتماع العالمي السنوي لكل مسلمي العالم، ولذا تقول الروايات: إنّ الله تعالى أمر إبراهيم بأن ينادي في الناس بأن يأتوا هذا البيت زائرين، فقال: يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي لا يصل إليهم؟!

فقال: نادِ وعلينا البلاغ.

فقام على الحجر وقال: يا أيها الناس، إنّ ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوا إليه.

فيقال: إنّ الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك.[١٥]

وهذا لا يعني أنّ كل الناس على وجه الأرض ممن كانوا موجودين في ذلك الوقت، وممن ولدوا في المستقبل، سمعوا صوت إبراهيم في نفس ذلك الوقت، بل كان صوت إبراهيم نداءً رمزياً،

لقد سمع الناس كلهم هذا الصوت بدون شك، ولكنه كان سمعاً بصورة رمزية وليس بصورة فعلية، فقد كان النداء الإبراهيمي بدءاً لواقعة مستمرة لا تنقطع، فأطلق إبراهيم نداءه في عصره، وأخذه الآخرون من بعده فأسمعوه لمن في عصرهم، وهكذا استمر هذا العمل جيلاً بعد جيل، وعندما جاء عصر الصحافة والإذاعة، انتشر هذا الصوت على مدى أكبر، فجاوز الجبال والبحار حتى تلاشى الخوف من أن يوجد على وجه البسيطة من لم يصله هذا النداء الإبراهيمي.

إعلان عام:

والحج هو المقام الطبيعي لإعلان القضايا الاجتماعية، ولذلك أعلنت أهم أمور الإسلام في مناسبات الحج، ومن أمثلته إعلان البراءة من الكفار والمشركين، والذي تمَّ بعد نزول سورة التوبة.

وكانت مكة قد فتحت في رمضان سنة ٨ هجرية، ووقعت ثلاث حجّات بعد ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وآله ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وآله بالحج خلال السنتين الأوليين، بل أدى في السنة العاشرة حجته المعروفة عموماً بحجة الوداع، ثم توفي إلى رحمة الله.

لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وآله ... قال: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي» ثم دعا علياً عليه السلام فقال: «اذهب بهذه القصة من سورة براءة وأذّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج

بعد العام مشـــرك، ولا يطوف بالبيت عريان».

ويقـــول علي عليه السلام أنـــه طاف بمكـــة معلنـــاً إعـــلان البراءة بين الجمـــوع إلى أن «صحل» صوته.[١٦]

لقد نـــزل حكم البـــراءة من مشـــركي الجزيـــرة العربيـــة وكفارهـــا في المدينـــة إلا أنه أعلن بمكة خلال موسم الحج، وهذا دليـــل واضـــح على أنّ موســـم الحج بمكة هو المكان الصحيح لإعـــلان كل القرارات الإسلامية الهامة.

فالحج هو المركز الاجتماعي لـــكل مســـلمي العالـــم ، وهم يجتمعون هنا وعليهم أن يعلنوا هنا قراراتهم الكبرى، وعليهم أن يضعوا هنا الخطط العالمية للأعمال التي تجب عليهم تنفيذاً لأوامر الله ورسوله.

والمثـــال الواضـــح الثانـــي لهـــذا هو خطبة حجـــة الوداع، التي هي أهـــم خطبة في حياة الرســـول صلى الله عليه وآله فمن خلالها أراد أن يعرِّف النـــاس بمقتضيات الديـــن الأساســـية بصـــورة نهائية قبيل وفاته، ولم يعلنها الرسول صلى الله عليه وآله في أي مكان آخر، بل أخّرها إلـــى أن حان الحج ســـنة ١٠ هجرية؛ ولذلك قال في مستهل الخطبة:

«أيها الناس، اســـمعوا قولي، فإنـــي لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف».

ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بكل أمور الدين الأساسية، ثم سألهم في نهاية الخطبة:

ألا هل بلغـــتُ، ألا هل بلغتُ؟

فشهد الناس بنعم، قد بلغتَ.

وكانت الجزيـــرة العربية قد دانت لـــه بعد فتح مكة ســـنة

٨ هجرية، وكان بإمكان رسول‌الله صلى الله عليه وآله أن يتوجه إلى أي مكان غير مكة ليذيع هذا الإعلان، وكانت المدينة مركز الإسلام السياسي حينئذ، وكان بإمكان رسول‌الله صلى الله عليه وآله أن يستقدم الناس إلى المدينة؛ ليقوم بهذا الإعلان أمامهم، ولكنه لم يسلك هذه الطرق بل انتظر الحج، فأعلنها بعد وصوله إلى مكة؛ وهكذا تبين سنة رسول‌الله صلى الله عليه وآله أنّ الحج هو المكان الأنسب لإعلان كل الأمور والقرارات الهامة في الإسلام.

أسلوب فطري:

ويعود السبب في هذا الاختيار إلى أنّ الإسلام يفضل الأسلوب البسيط والطبيعي لكل الأمور؛ وعلى سبيل المثال: فإنّ من أعمال الحج السعي بين الصفا والمروة، وهنا ثار سؤال «الترتيب» أي هل يبدأ السعي من الصفا أو من المروة؟

وحين قام رسول‌الله بالسعي قال: «أبدأ بما بدأ الله به».

وكان يشير بذلك إلى الآية القرآنية التالية: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

وهي الآية التي تأمر الحاج بالسعي بين الصفا والمروة، وهي تقدم الصفا على المروة، فجعل رسول‌الله ترتيب العمل على غرار الترتيب القرآني البياني؛ لكي لا يضطر الإنسان إلى حفظ ترتيبين:

أحدهما في القرآن وآخرهما في مناسك الحج.

وقد جعل الحج مكان الإعلان مراعاةً لهذه الحكمة الطبيعية،

فيجتمع المسلمون من كل أنحاء العالم لأداء شعائر الحج كل سنة، وسيظلون يجتمعون لكي يكفي اجتماع واحد؛ لتحقيق هدفين في آن واحد.

ومن فوائد الإعلان الاجتماعي عند الحج أنّ مثل هذا الإعلان يكتسب نوعاً من القدسية، فإنّ الحج هو أقدس مكان في نظر المسلمين، والإعلان الذي يتم عند الحج يكتسب نوعاً من القدسية والاحترام في أنظار الناس.

وفي الفصل الثامن: راح المؤلف يدون مسائل الحج وأحكامه والمواقيت، ومحظورات الحج، وترتيب مناسكه، ومصطلحات الحج ذاكراً ٣٦ مصطلحاً، منها: الآفاقي، والإحرام، والاستلام، والاضطباع، والإفراد، وأهل الحرم، وأهل الحِل، والحلق، والتقصير، والتلبية، والتمتع، والجمرات، والحجر الأسود، والسعي، ومقام إبراهيم.

ثم ينتقل إلى فقرة آثار إسلامية ذات معان تاريخية، فيذكر ٣٢ أثراً كأحد، وبدر، وجبل ثور، وجنة البقيع، والصفا، وعرفات، وقرن المنازل...

ثم ينتقل إلى ذكر المساجد الخمسة في المدينة، يقال: إنها تقع في المكان الذي حفر فيه الخندق، مسجد الخيف، ومسجد قبا، ومسجد القبلتين، ومسجد نمرة.

وكل هذه الفقرات يذكرها، ويضع مقابل كل واحدة تعريفاً مختصراً لها.

وفي هذا الفصل يذكر زيارة المدينة المنورة، ويفرد لها مساحة أربع صفحات تقريباً،

يتحدث فيها عن زيارة ضريح رسول الله ﷺ وأهميتها، وآدابها، وآثارها.

وأختم كلامي بما ذكره ظفر الإسلام خان: إنّ «حقيقة الحج» حقيقة عظمى بلا ريب، ولقد نجح المفكر الكبير «وحيد الدين خان» في تجلية كثير من جوانب هذه الحقيقة بأسلوبه الرائع، وبثقافته العميقة الأصيلة والعصرية في سياق واحد. والحمد لله رب العالمين.

هوامش

١. البقرة : ١٢٦.
٢. آل عمران : ٩٦.
٣. أخرجه الترمذي: أبواب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريباً.
٤. سورة الذاريات: ٥٦ .
٥. سورة الرعد: ٢٨.
٦. سورة البقرة : ١٥٨.
٧. سورة يس : ٥١.
٨. كتب هذا قبل التوسعة الهائلة للمسجد النبوي.
٩. رواه الترمذي في أبواب الحج، باب في التغليظ في ترك الحج.
١٠. سورة البقرة : ١٢٥.
١١. سورةآل عمران : ٩٦.
١٢. سورة المائدة : ٩٧.
١٣. سورة إبراهيم :٣٧.
١٤. سورة الحج : ٢٧.
١٥. تفسير ابن كثير، الآية: ٢٧ من سورةالبقرة.
١٦. وصَحِلَ فلان يصحَل صحلاً: كان في صوته بُحَّة؛ المعجم الوسيط: ٥٠٨ .